

رسوم الطفل في الفن القبطي وتصميم طباعة أقمشة الأطفال

د/ نجلاء إبراهيم محمد الوكيل

م.د. بقسم طباعة المنسوجات والصباغة والتجهيز

كلية الفنون التطبيقية

جامعة حلوان

د/ إلهام حسين المهدي حسن

أ.م.د. بقسم طباعة المنسوجات والصباغة والتجهيز

كلية الفنون التطبيقية

جامعة حلوان

مقدمة :

تعتبر الطفولة من أهم مراحل عمر الإنسان وأكثرها تأثيراً في حياته ونموه، والطفل يولد لا يعرف شيئاً، ولكن لديه الاستعداد لكي يتعلم ويتذوق ولقد كثرت دراسات الطفولة منذ مطلع القرن العشرين وتتابع في شكل طوفان حتى عد هذا القرن بحق أنه عصر الطفل.

فعين الطفل تتعلم أن تدرك وأن تفهم ما تدرك، وتميز الحسن من السيئ، ومن هنا يبدأ دور الفنان في التربية الجمالية للطفل ببناء خبرة الطفل بصرياً من خلال الأشكال والألوان فيساعد ذلك علي إنماء الحس الجمالي للطفل.

ونتيجة للتقدم السيكولوجي وزيادة الوعي بالطفولة، ظهرت اهتمامات دولية خاصة برعاية الأطفال منذ القرن العشرين لما له من أهمية فنية وجمالية وتربوية فهي تعبر بصدق عن أفكار الطفل واتجاهاته ونظرته للطبيعة من حوله، ونظراً لأن معظم التصميمات المطبوعة علي أقمشة الأطفال في السوق المحلي بعيدة عن الطابع المصري ويغلب عليها الاتجاهات السائدة في الغرب مع تجاهل حاجات الطفل النفسية وإمكاناته العقلية المهيأة في هذه المرحلة السنية لتلقي الأسس والمبادئ الأولى للتعلم والثقافة.

ونظراً لثراء الفنون القبطية بزخارف تتناسب وميول الأطفال من حيث التجريد والبعد عن الطبيعة وإهماله استعمال النسب التشريحية في الرسوم الأدمية والحيوانية أن أصبحت رسومه تحاكي بعض مميزات رسوم الأطفال.

لذا وجب التأكيد علي الاهتمام بالتصميمات المطبوعة لأقمشة الأطفال لترسيخ قيم الانتماء لديه من خلال السمات الفنية المشابهة في زخارف الفنون القبطية وعلاقتها برسوم الطفل.

مشكلة البحث :

- تصميمات أقمشة الأطفال بالسوق المحلي لا تتناسب مع فكر الطفل وميوله واهتماماته الآن.
- ندرة وجود دراسات مستوحاة من زخارف الفنون القبطية لإنتاج أقمشة مطبوعة للأطفال.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى الاستفادة من التراث المصري القديم خاصة الفنون القبطية التي تحمل سمات رسوم الأطفال من البساطة والتلقائية وذات قيم فنية وجماالية عالية، وذلك في إنتاج تصميمات متنوعة لأقمشة الأطفال المطبوعة وذلك لتنمية الذوق الفني عند الطفل من خلال الشكل واللون في التصميمات المبتكرة.

حدود البحث:

وتتحدد الدراسة المقترحة في:

الحدود الزمانية : تتحدد حدود البحث الزمانية من القرن الثالث حتى القرن الثاني عشر الميلادي (وهي فترة الفن القبطي).

الحدود المكانية : أقمشة الطفل في جمهورية مصر العربية.

الحدود الموضوعية : سيركز البحث على المرحلة السنوية للطفل من ٦ إلى ١٢ سنة أي مرحلة المدرسة الابتدائية.

ماهية رسوم الأطفال:

المقصود برسوم الأطفال هي تلك التخطيطات الحرة التي يعبرون بها علي أي سطح كان منذ بداية عهدهم بمسك القلم (١١-١٧).

رسوم الأطفال :

مصطلح عالمي يتعارف عليه المهتمون بالفنون في أنحاء العالم، وتعني في المجال التربوي كل الإنتاج التشكيلي الذي ينجزه الأطفال، وفن متميز يقتصر الاهتمام فيه علي الإجابة الابتكارية التي تحفظ خصائص نمو الأطفال وسماتهم العضوية الأصيلة.

وتعتبر رسوم الأطفال لغة تعبيرية ووسيلة للاتصال بغيره من البشر فهي تعني نقل المعاني والقدرة علي الاتصال بالآخرين. كما أن رسوم الأطفال لغة بصرية ورمزية فالإنسان الذي يرسمه الطفل يعبر عنه كاملاً أحياناً وأحياناً أخرى ينقص من أطرافه أو من بعض تفاصيله، وقد يلخصه في شكل دائرة تحتها خط أو يشكله علي هيئة كليشية يمثل فكرته عن الرجل وهو ما يسمى "بالموجز الشكلي" (١٢-٢٠١: ٢١١).

وبالرغم من أن رسوم الأطفال لها سماتها الفردية والتي تجعلها متميزة من طفل لآخر إلا أنه يوجد بعض السمات البيئية التي تميز رسوم الأطفال. ويعرفها المتخصصون بخصائص رسوم الأطفال ولزوماتها وقد تظهر هذه الخصائص مع الخطوط الأولى للطفل وبعضها يستمر معه حتى نهاية مرحلة الطفولة (٥-٥١).

ونجد أنه يوجد اختلاف في آراء العلماء والباحثين بشأن العمر الزمني التي تشبع فيه تلك الخصائص واللزمات في رسوم الأطفال، كما لم يتفق العلماء علي تقسيمات موحدة لمراحل النمو كذلك لم يتفقوا علي بدايات أو نهايات تلك المراحل وذلك لتداخلها زمنياً وفي الغالب تقسم إلى عدة مراحل طبقاً للنمو الحركي والعقلي ومنها:

١- مرحلة ما قبل الميلاد.

٢- مرحلة ما قبل المدرسة (٢-٥ سنوات).

٣- مرحلة المدرسة الابتدائية. (٦-١٢ سنة)

٤- مرحلة المراهقة وتمتد من (١٢-١٨ سنة).

والمرحلة التي سيركز عليها هذا البحث هي مرحلة المدرسة الابتدائية (٦-١٢ سنة) وتقسم هذه المرحلة طبقاً لنمو تعبيرات الأطفال الشكلية كالآتي:

أ- مرحلة الرسوم الواقعية الوصفية: من سن ٦ : ٩ سنوات:

الرسوم في هذه المرحلة منطقية. فالطفل يضع علي الورق ما يعرفه لا ما يراه، وهو ما يزال يفكر لا في المرئي الخاص ولكن في الشكل بوجه عام، ويحاول أن ينقل أو يعبر أو يدون كل ما يتذكره، أو كل ما يهتم به في الموضوع. ويصبح الموجز الشكلي في هذه المرحلة أكثر صدقاً من ناحية التفاصيل، ويتخذ الطفل الرسم الجانبي كمحور في تعبيراته ولكن المنظور والظل والنور والغموض والقواعد التي تمكن المصور من محاكاة الأشياء بصورة تامة لا تظهر بوضوح.

ب- مرحلة الواقعية البصرية: من سن ٩ : ١٢ سنة:

ينتقل الطفل من مرحلة الرسم من الذاكرة والخيال إلى مرحلة الرسم من الطبيعة وتنقسم هذه المرحلة إلى مظهرين :

الأول: مظهر البعدين: ويستخدم فيها الخط الخارجي فقط.

الثاني: مظهر الثلاثة أبعاد ويحاول فيها الطفل أن يظهر صفة الصلابة. وفيما يلي عرض لبعض الموجزات الشكلية^(*) لبعض الأطفال في المرحلة السنية المختارة (١١-٦٧).

(*) الإيجاز الشكلي Schematic هو تلك الصيغة الشكلية الملخصة التي يستقر عليها الطفل لتمثيل المفاهيم والمدرجات البصرية (٤-١٣٨).



شكل رقم (١)

خصائص وسمات رسوم الأطفال:

بالرغم من أن رسوم الأطفال لها سماتها الفردية والتي تجعلها متميزة من طفل لآخر إلا أنه يوجد بعض السمات المشتركة في رسومهم وقد جعلها متشابهة بغض النظر عن السمات البيئية التي تميز رسوم الأطفال على المستوي المحلي.

ويعرف المتخصصون هذه السمات العامة بخصائص رسوم الأطفال ولزماتها وبعض هذه الخصائص قد تظهر مع الخطوط الأولى للطفل وبعضها يستمر معه حتى نهاية مرحلة الطفولة بل وقد تمتد إلى مرحلة المراهقة.

وهذه الأساليب المميزة سماها بعض العلماء "أخطاء الأطفال" ويتأمل هذه التسمية نجد فيها بعض المغالاة، إذا أنها تفسر مظهراً هاماً من المظاهر المميزة للنمو على أنه خطأ، وهذه النظرة سادت لدى بعض العلماء عند بداية الاهتمام برسم الأطفال، وهي متأثرة بالنزعة الأكاديمية في الفن وأن أعظم الأشياء الجميلة التي يخلقها الطفل هي أخطاؤه.

وهناك بعض العلماء الحداثيين يدرسون "أخطاء الأطفال" على أنها مميزات تلازم رسومهم - وقد أطلقوا لذلك عليها "لازمات الأطفال" وأهم هذه المظاهر هي:

- ١- تخير الأوضاع المثالية. ٧- النفعية.
- ٢- خط الأرض. ٨- التكرار الآلي.
- ٣- التسطيح. ٩- التصغير.
- ٤- التمثيل الزماني والمكاني. ١٠- التصنيف أو الرص.
- ٥- الميل. ١١- التماثل.
- ٦- الشفافية. ١٢- استخدام الكتابة.

وفيما يلي تحليل لبعض هذه المظاهر وتوضيحها بأمثلة تساعد في فهم المقصود منها:

١- تخير الأوضاع المثالية:

يرى الطفل العالم الخارجي من إنسان وحيوان ونبات في أوضاع مختلفة، يراه من الأمام ومن الخلف، ومن أعلى، ومن الجانبين، ولكنه عندما يسجل هذه المرئيات بالرسم نجده يصور كل منها في وضع خاص. فهو يرسم الحيوان والطائر والسمكة عادة من الجانب ويرسم الإنسان بوجهه وصدره من الأمام وبقدمين من الجانب ولعل السبب الذي يجعله يفضل هذا الوضع على بقية الأوضاع هو رغبته الملحة في الإيضاح والتعبير، فالطفل يتخير أحسن الأوضاع التي تظهر فيها الأشياء أكثر وضوحاً ويرسمها فيها، وقد أطلق على هذه الظاهرة تخير الأوضاع المثالية. (١١-١٤١)

وفي الشكل الموضح رقم (٢) رسم الطفل قافلة وقد أوضح كل الحيوانات والأشخاص والنخيل والسحب في أوضاع مثالية. فالحيوانات رسمت من الجانب والأشخاص بأجسام من الأمام وأقدام من الجانب، أما النخيل فتمثلت بالصورة المثالية المألوفة لرسمها.

٢- خط الأرض:

عندما يبدأ الطفل يعي علاقته بالبيئة فإنه يضع كل الأشياء على خط أرض واحد ليربطها ببعضها ببعض، فالطفل يعبر عن الشارع بخط واحد فقط، هو خط الأرض الذي يعد رمزاً لكل شيء يتعلق بالشارع (١١-١٤٥). وفي الشكل الموضح رقم (٣) صورة بستان ينجني الفواكه وهي تتكون من خطين للأرض، والرسم به صف من أشجار الفواكه أراد الطفل تمثيل جني التفاح على خط الأرض الأسفل، ثم نقل التفاح إلى المنزل على خط الأرض العلوي.

٣- التسطيح:

للتعبير عن المرئيات فقد يقف الفرد وينظر إلى الجسم المراد رسمه نظره عينيه تراعي النسب والأبعاد والظل والنور والأشياء الظاهرة والمختفية. وقد لا يتقيد بوضع معين، فيحرك نفسه تارة إلى اليمين وأخرى إلى اليسار، ثم يرسم صورة تجمع بين هذه الأوضاع المختلفة في وقت واحد.

لذلك إذا أراد الطفل أن يرسم مثلاً عربة (كارو) نجده يبين سطحها الخشبي كأنه ينظر إليه من أعلى، فيظهره على هيئة مستطيل ولكنه يعود فيغير وضعه عندما يرسم العجل فيقف أمامها ويعبر عنها من هذه الزاوية ويرسمها على شكل دائرة، ثم تجده يغير وضعه مرة أخرى فيرسم الحيوان الذي يجز العربة من الجانب وبهذه الطريقة يخرج رسمة مسطحة أشبه ما يكون بالأفراد (١١-١٥٩) كما هو موضح بالشكل رقم (٤).

٤- التمثيل الزماني والمكاني:

فكما أن الطفل لا يتقيد في رسمه بالنظر إلى المرئيات من مكان معين فهو أيضاً لا يتقيد بلحظة زمنية خاصة، ولذلك نجده عندما يستمع إلى قصة ويستمتع بها يري أن الحقيقة لا توجد في جزء منها وحده وإنما تتوافر هذه الحقيقة في سلسلة المواقف المتتابعة ولذلك فهو يرسم صورة واحدة تجمع غالبية المناظر التي استمتع بها في القصة (١١-١٦٧)، وكما يوضح (الشكل رقم ٥) حيث أراد الطفل أن يوضح وجود الأطفال في الحديقة وذلك يرسم الزهور والحشائش والأشجار، وتوضيح الزمن بوجود الشمس.

٥- الميل:

ظاهرة الميل هو نوع من التدقيق بين الحقيقة المرئية والحقيقة الفكرية، فالطفل يعرف أن الأجسام ترتبط بالأرض التي ترتكز عليها فإذا أراد أن يرسم هذه الأجسام على خط أرض رسمها عمودية ولكن هذه الفكرة تخلق له نوعاً من الحيرة عندما يتغير خط الأرض من وضعه الأفقي إلى وضع متعرج أو مقوس أو مائل، ففي هذه الحالات يرسم الأشخاص والشجر وسائر الأشياء التي تظهر فوق المنحدر بشكل مائل (١١-١٧١)، ويوضح (شكل رقم ٦) رسم خط مائل عليه رسم للشجرة والزهور واحدة تلو الأخرى وينحرف في ميلها.

٦- الشفافية:

تعتمد هذه الظاهرة على رغبة الطفل في التعبير عما يعرفه وقد سميت هذه الظاهرة برسوم أشعة أكس لما بين اتجاه الطفل وبينها من شبه، فهو يري من خلال السطوح سواء كانت شفافية أو غير شفافة فنراه يري السمك ظاهراً من الماء (١١-١٧٣) كما (بالشكل رقم ٧).

٧- النفعية:

وهذه الظاهرة تلاحظ في رسوم الأطفال حتى سن ١٢ سنة تقريباً والتسمية مأخوذة من فكرة تأدية الوظيفة فرغبة الطفل الملحة في إيضاح أفكاره ونجده يسجل معرفته بالأشياء وإحساسه بها متبعاً في ذلك الأساليب الآتية:

أ - المبالغة في الأحجام. ب - الحذف.

ج- الإطالة في العضو الذي يؤدي الوظيفة.

٨- التكرار الآلي:

ويقصد بها تلك الأشكال التي يرسمها الطفل دون أن يفكر فيها أو يحس علاقاتها ببعضها ببعض فتخرج وهي عاجزة عن نقل أي معني تعبيرية.

ويوضح (الشكل رقم ٨) ظاهرة التكرار الآلي.

٩- التصغير :

ومعناه رسم الطفل لوحداث صغيرة الحجم نسبياً إذا قيسَت ببقية العناصر المستخدمة وقد يأخذ التصغير أحياناً مظهر الحشو وملاً الفراغات في بعض الصور فيرسم الطفل مثلاً أشخاصاً صغيرة الحجم بجوار الأشخاص الكبيرة إلا لشيء إلا لرغبته في حشو الفراغ.

١٠- التصفيف أو الرص:

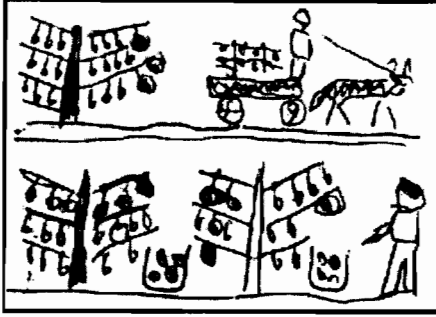
المقصود بالرص أو التصفيف هو محاولة ملاً جزء معين من فراغ الصورة ملاً آلياً بوضع العنصر مجاوراً للآخر بنفس الشكل دون أن يحاول الطفل تنويعه ويكرر ذلك إلى أن يمتلأ الفراغ. ويكثر التصفيف في الموضوعات التي يحاول أن يعبر الطفل فيها عن فكرة الزحام (١١-١٩٤).

١١- التماثل:

وهو أحد المظاهر التي تلاحظ في رسوم الأطفال ومعناها إظهار نصف الصورة أو أحد أجزائها بشكل يكاد يطابق النصف الآخر.

١٢- استخدام الكتابة:

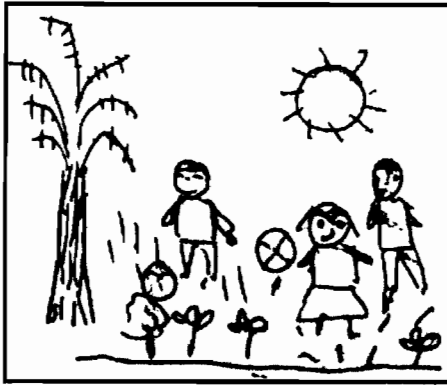
ويستخدم الأطفال الكتابة كوسيلة من وسائل الإيضاح في بعض العناصر الموجودة في الصورة. وقد يرجع استخدام الكتابة لعدم اقتناع الطفل أحياناً بأن المشاهد سيفهم ما يقصده ولذلك نجده يكتب مع كل شيء اسمه أو يصف مظهره (١١-٢٠٢).



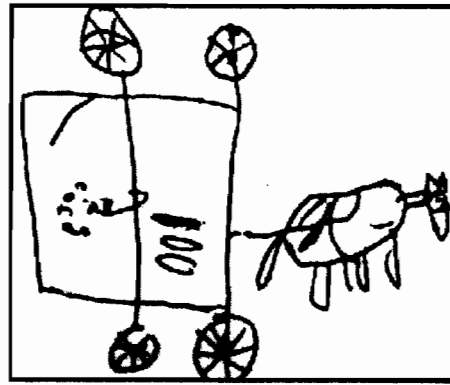
شكل رقم (٣)



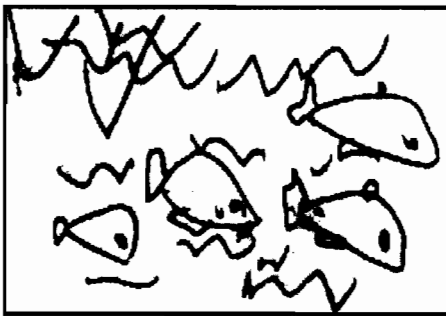
شكل رقم (٢)



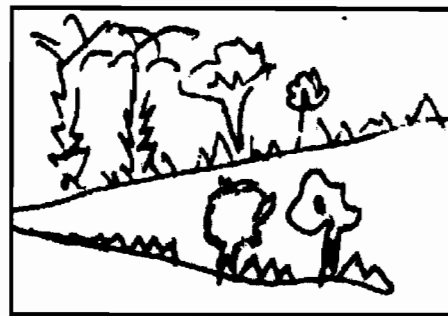
شكل رقم (٥)



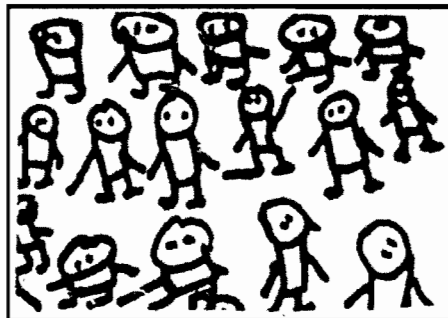
شكل رقم (٤)



شكل رقم (٧)



شكل رقم (٦)



شكل رقم (٨)

الفنون القبطية (البداية في الفنون القبطية):

عندما انتشرت المسيحية في أنحاء الإمبراطورية الرومانية، ظهرت طرز فنية مسيحية محلية معدلة بعض الشيء عن الفن البيزنطي الذي كان يسود الشرق الأوسط.

ومن أهم هذه الطرز المسيحية أسلوب فني نشأ في مصر وتأثر بالتقاليد الشرقية والمحلية وانعزل عن الحضارة الهيلينستية التي كان يمثلها الحاكم المستعمر، ويعرف هذا الطراز بالفن القبطي (١٣-٩٦). فلقد ظهرت في مصر في نهاية القرن الثالث الميلادي جماعة لها أسلوب خاص في الحياة من الناحية العقائدية والروحية وما يتبعها من النواحي الاجتماعية والفنية، واتخذوا لأنفسهم اسماً علماً لهم وهو القبط (٦-٣).

وقد بدأ الفن القبطي مضطهداً، فاتجه إلى الرمز والنظر داخل النفس بحثاً وراء القيم الروحية التي تغني عن النظر في الدنيا الفانية، أملاً في الخلاص، واتخذ من بعض العلاقات والأشكال في الحضارتين المصرية والإغريقية رموزاً أسبغ عليها فكراً روحياً جديداً. وتعتبر فترة ازدهار الفن القبطي بين القرنين الرابع والسابع الميلادي (١-١٩٢).

ومن ناحية أخرى أن الفن القبطي كان الوجه البدائي للمسيحية المبكرة، وأن الذي ينفذ إلى إنجازاته يجد أنها تمثيل لخرافات أكثر منها شرح للعقيدة (١٤-٥٩).

ولعل إهمال المؤرخين للفن القبطي يرجع إلى الصعوبة التي بدت للبعض في تصنيف الفن القبطي بين مختلف الاتجاهات الفنية، نظراً لتعدد مظاهره الفنية وتعقدها وتشابكها بسبب تأثرها بأصول فنية أخرى اشتق عنها الفن القبطي موضوعاته وأساليبه وعناصره الزخرفية.

إلا أن هذا الإهمال لم يلبث أن تبدد على ضوء النظرة الجديدة إلى الفن القبطي من حيث أنه وإن كان فناً قديماً، إلا أنه غني بالقيم الجمالية التي لتشابهها مع القيم الفنية التشكيلية المعاصرة، قد خلصت عليه نوعاً من الحضور بل والمعاصرة.

وإذا حاولنا تقييم الفن القبطي بمعايير الفنون التشكيلية المعاصرة التي تذهب إلى أن الجمال في الفن إنما ينتج من النجاح في تجميع الخطوط والأشكال، والملامس والألوان حتى يمكن نقل فكرة شكل ما، أو عاطفة معينة، أو النجاح في أحداث جو روحي باستخدام حيل في الأداء للتعبير عن معان غير ظاهرة، فالفن القبطي بالمعنى المشار إليه، هو فن تكاملت له أصالته الفنية بالمعايير المعاصرة.

والفن القبطي يتميز بأنه فن لم ينشأ في حضن السلطة، بل مارسه الشعب ليقاوم به السلطة أحياناً، ومن هنا جازت تسميته بالفن الشعبي. غير أن القول بشعبية الفن القبطي طالما فسره البعض تفسيراً يقصد بلفظ "شعبي" انحدار القيمة الجمالية، غير أن التفسير إنما يصدر في الحقيقة عن مفهوم خاطئ للقيمة الجمالية.

فشعبية الفن القبطي حجة تؤكد شخصيته وأصالته، إذ كان أول فن في الشرق القديم يتجه لكل الشعب بسبب عدم خضوعه للتوجيه السياسي (١٢-١٣٣)، ولم يقتصر على تلبية حاجات عليه القوم وحدهم، بل تعدى ذلك إلى تلبية حاجات الناس لكل طوائفهم وفئاتهم. كما أنه حقق كافة الأغراض التي يتطلبها الفن، إذ عبر عن المطلق الديني من خلال الوسائل المادية الموجودة في الحياة العادية، وخدم الدين زمن الاضطهاد معبراً عن التعاليم المقدسة موصلاً إياها لأتباعه، وكان فناً للزينة التي نبعث من البيئة المصرية.

* الفن القبطي وارتباطه برسوم الأطفال:

يتميز الفن القبطي بأنه يقوم علي دعامتين أساسيتين: الأولى، إهمال المادة إهمالاً تاماً، والعناية بالروح والثانية، وتعتبر نتيجة للأولي، هي التجريد التام والرمز (٣-٢٦). ولقد تشابكت هاتان الدعامتان خلال مراحل تطور الفن القبطي ووصلتا به إلي شخصيته المتميزة.

وهنا نجد أن لفنون الأطفال علاقة متأصلة بالنسبة للمفهوم الأساسي للتجريد والرمز تبعاً للمحتوي النفسي والعاطفي لكل طفل وتتقارب هذه الفكرة من المفهوم السابق للفن القبطي.

لقد بدأ الاتجاه الرمزي في الفن القبطي باستخدام الشارات والرموز ذات دلالات ومعان غير ظاهرة، متجهين بكل قوة إلي التعبير عن الأحاسيس والمشاعر والأفكار بطريقة الرمز الذي يدعو إلي النظر داخل النفس بحثاً وراء القيم الروحية التي تغني عن النظر في الدنيا الفانية أملاً في الخلاص.

وهو بهذا يرتبط بالإيهامات في فنون الطفل من حيث الأحاسيس والاتجاهات الحسية المرهفة تجاه الموضوع الفني المرسوم وذلك من خلال بعض التأثيرات والمعايير الخاصة لكل طفل علي حدة ورموزه المختلفة للموضوعات الفنية. فالأطفال عادة يستجيبون للوسائل البصرية بصورة انفعالية بحيث يؤثر الانطباع العام من الصورة لديهم أكثر من تأثير المحتوى الموضوعي لها.

نجد أيضاً أن الفنان القبطي يبدأ في البعد عن الطبيعة في الرسوم الآدمية والحيوانية وفي تجريدها ولذا نجده يرمز إلى المادة بأقل الخطوط وأوجز الرموز.

وهكذا بدأ الفنان القبطي يهمل علم التشريح والبعد عن الطبيعة عن قصد، فجرد رسومه كما أقتصر علي استعمال ألوان محدودة أهمها اللون الأرجواني الداكن والكحلي وخاصة في فن النسيج.

وقد أدّى إقبال الفنان القبطي علي التجريد والبعد عن الطبيعة وإهماله استعمال النسب التشريحية في الرسوم الآدمية والحيوانية، أن أصبحت رسومه رمزية مجردة وتشبه رسوم الأطفال (٣-٨). إلا أن هناك نمط في فنون الأطفال يميل إلى تقليد الطبيعة والشخوص دون المحاكاة الحرفية لها أو التجريد الذي يصل بها للبعد عن مصدرها الطبيعي، لتحقيق قيمة جمالية من خلال العناصر التي تنقل من الطبيعة وهي علي اختلاف أنماطها تتحرك في ظل فلسفة فنية واحدة.

وهناك مجموعة من النقاط الهامة التي تربط فنون الطفل بالفن القبطي وهم بصورة مختصرة:

- الفن القبطي فن شعبي يتعامل مع خامات بيئية، ويتسم بدرجة من الفطرية "فالنفسية القبطية مزيج من التلقائية والوعي" (٢-٧٧).

- نجد أن الفن القبطي لم يكتفي بوجود الرؤية وحدها وسيلة للإيمان بوجود الشيء لذلك فهو فن بسيط يعتمد علي بعدين ويرمز إلى ما هو غير مرئي إلى جانب إشارته إلى ما هو مرئي.

- يعتبر الفن القبطي فن البساطة حيث ينقل جذور الفن ذي الأشكال والألوان الصافية، فلم يكن فناً مصطنعاً أو فناً ارتجالياً (٧-٤٧).

- الفن القبطي تابع من فن مصري أصيل، ديني ودنيوي، فهو يعبر عن أحاسيسه المصرية، من أرض مصر ونيلها وقمرها، وقد عبر الفنان القبطي عن البيئة المصرية في أعماله الفنية المختلفة، فعبر عن البيئة المصرية بتصويره للوجوه القبطية تحمل ملامح المصري بعينه الواسعتين المستديرتين وأنفه ولون بشرته. كذلك اشتملت معظم الزخارف القبطية علي أنواع مختلفة من الحيوانات من البيئة المصرية مثل الطيور والغزلان والأرانب والأسود والعصافير والبط والأوز وكذلك النسر (٨-٦٧).

كذلك اشتملت الزخارف القبطية علي أوراق النبات المختلفة وأفرعها، وثمارها كالعنب والنخيل والرمان والقمح وكلها نباتات من البيئة المصرية. وأقتبس الأقباط رسوماً لأسماك من الفن الفرعوني كعنصر زخرفي. رسمت الشخوص في الفن القبطي فن الوجه بدلاً من رسمها من الجانب كعادة القدماء المصريين. فإنه فن زخرفي يهتم بإبراز المعاني في دقة وبساطة ولا يميل إلى الضخامة.

- في هذا الفن الكثير من الزخارف التي قوامها الأساسي الأشكال الهندسية من المثلثات والمربعات والدوائر والخطوط المتلاقية والمتقاطعة هذا إلى جانب أن الفنان القبطي قد حول بعض الأشكال إلى مجرد خطوط هندسية خارجية.

- لجأ الفنان القبطي إلى الاتجاه الرمزي باستخدام الإشارات في صورة دلالات ومعان غير ظاهرة متجه إلى التعبير عن القوة والأحاسيس بطريقة الرمز والرمزية تستدعي التجريد بأسلوب يقترب من الاتجاه الفني المعاصر للمدرسة التجريدية.

ولقد نجح الفن القبطي كفن له مكانته أن يلتقي بالاهتمامات الفنية المعاصرة فهذا الفن لم يكتف بتغيير الموضوع وفقاً لنظرته الخاصة مع الاحتفاظ بالعناصر العامة، بل أنه أندفع جذرياً في هذا المفهوم حتى توصل إلى اتجاه تغلب عليه الزخرفة، ولعله اضطر إلى ذلك بسبب ظروفه الجديدة، ومع ذلك فهو يتماشى مع الاتجاهات الفنية المعاصرة له وذلك بالأعمال القيمة التي كان يقدمها من حين لآخر. وهو يتلاقى هنا مع البراءة الفنية والانسحاب المتدفق والتعبير الحر السليم ببساطة الخطوط ونقاء اللون وتشكيل الأشكال وتغيير الوحدات وتنظيمها في الصورة وهذه الحرية الساذجة المتدفقة المعبرة في فنون الأطفال جذبت فنان القرن العشرين إليها فأخذ يدرسها ويتعلم منها صفات وأساليب ما كان يمكن الوصول إليها عن طريق غير طريقها، ومن هنا ظهر الطريق الواضح لكبار الفنانين في الماضي والحاضر لعالم فنون الأطفال.

عند إلقاء الضوء علي فنون الزخارف القبطية يراودنا ذلك الشعور بالارتباط والتضامن بين ذلك الفن وفنون الرسم عند الأطفال وما تتضمنه من نضارة وصدق وغرابة وطهارة المنظر.

* تخير الأوضاع المثالية:

وعند الفنان القبطي يبدو الفن البدائي الحديث مليئاً بالأخطاء، فغالباً ما تظهر الأشخاص والحيوانات بعيدة عن النسب الطبيعية وهناك إهمال في قواعد التصوير، وموضوعات الصور غريبة العلاقة، وتظهر الصور بشكل غير واقعي وغير نظامي كما أن الشخوص تصور دائماً في أوضاعها المثالية وهو اتجاه الأجسام إلى الأمام والأقدام من الجانب أما الحيوانات فصورها من وضعية جانبية وهو بهذا يتلاقى مع فكر ورسم الطفل كما هو موضح شكل رقم (٩).

* خط الأرض:

- يلجأ الفن القبطي إلى تلخيص الأشكال وتحريفها لتحقيق معاني رمزية تتميز ببراعة الأطفال من خلال خطوطها وأشكالها الممثلة بالحياة البعيدة عن الواقع الملموس وذلك من خلال وضع علاقة بين زخارفه تتكأ علي خط الأرض ليعيد الاتزان لوضعية العناصر المختلفة للعمل الفني كما هو موضح شكل رقم (١٠).

* التسطيح:

- التراث الفني القبطي يعتمد علي التعبير عن الصور العقلية المختزلة في ذهن الفنان وصياغتها في أشكال جمالية مجردة، ليستبدل المرئي باللامرئي كالمدخل الساذج للتسطيح الذي يلجأ إليه الأطفال في التعبير كما هو موضح شكل رقم (١١).

* التمثيل الزماني والمكاني:

- إن قدرة الفنان القبطي علي التمثيل الزماني والمكاني يحققها من خلال استقلاله من عالم المحسوس بموجوداته المباشرة ليبرز أحاسيس فنية أرفع مكانه من الجمال الطبيعي لانه من نتاج الحرية، وما هو من نتاج الحرية يحمل طابعاً يكون اسمي من الطبيعة كما هو موضح شكل رقم (١٢).

* المييل:

- أن الفن القبطي ابتعد عن تمثيل المشاهد التي لا تتركز علي خط الأرض تمثيلاً حرفياً، ولكنه استلهمها من الميل للخط لتكون بمثابة المحرك لإعادة صياغتها جمالياً في أوضاع جديدة كما هو موضح شكل رقم (١٣).

* الشفافية:

- يحمل الفن القبطي عالم طفولي فريد من رغبة في وضع لمسات للشفافية المحسوسة لبعض الظواهر الغير مرئية من خلال السطوح وهو بهذا يحطم المنطق العادي والأكاديمي في الرسم من أجل منطق يسبح في عالم الأحلام ولا يتقيد بمنطق العقل الواعي كما هو موضح شكل رقم (١٤).

* التكرار الآلي:

- يتميز الفن القبطي بوحداته المسطحة المجردة التي لها طابع يجسد أفكار طفولية تتمثل فيها الحرية في التكرار الآلي مما يؤدي إلى بعض الحركة الديناميكية للوحدة كما هو موضح شكل رقم (١٥).

* النفعية والتصنيف والتماثل:

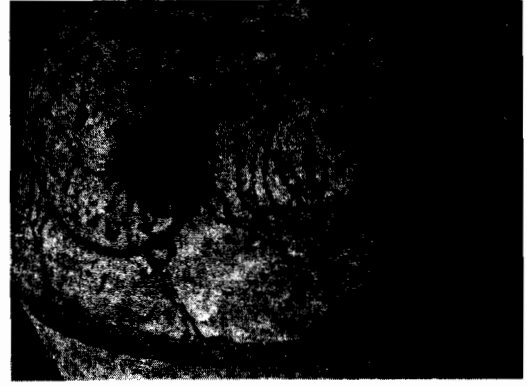
- يتلاقى الفنان القبطي مع رسم الطفل في بعض السمات الواضحة في توزيع وإخراج عناصره من تصغير وتصنيف ونفعية شكل رقم (١٦) وتماثل أحد مظاهر إظهار الزخرف كأنه صورة منعكسة في مرآة وهو هنا يتلاقى مع الفكر البصري للطفل كما هو موضح شكل رقم (١٧).

* استخدام الكتابة:

- يستخدم الفنان القبطي بعض الكتابات المرمزة لتساعد علي التأكيد علي وحدة التصميم البنائي للزخارف بطريقة إيقاعية لا تعتمد علي الحساب الرياضي الدقيق إنما علي التحرر من العالم الذي يحكمه العقل والمنطق كما هو موضح شكل رقم (١٨).



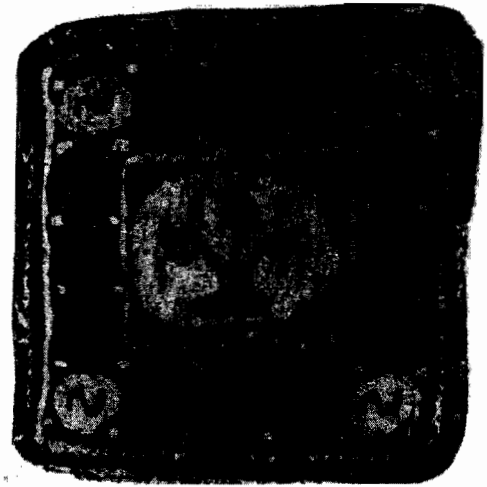
شكل رقم (١٠)
خط الأرض



شكل رقم (٩)
تخير الأوضاع المثالية



شكل رقم (١٢)
التمثيل الزماني والمكاني



شكل رقم (١١)
التسطيح



شكل رقم (١٤)
الشفافية



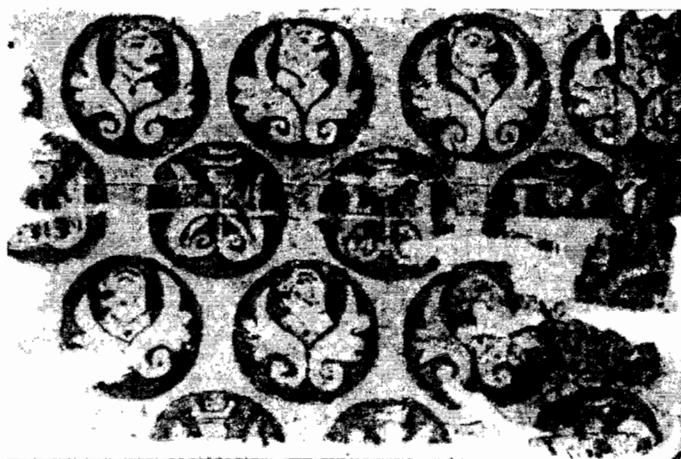
شكل رقم (١٣)
الميل



شكل رقم (١٦)
النفعية



شكل رقم (١٥)
التكرار الآلي







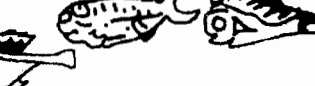

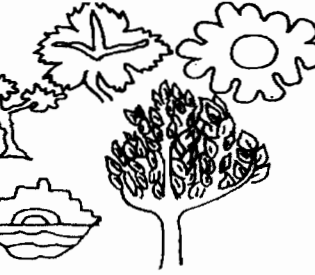

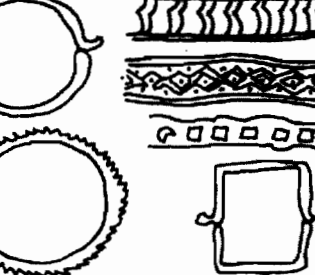
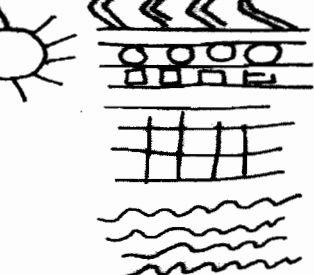


شكل رقم (١٧)
التصنيف والتماثل



شكل رقم (١٨)
استخدام الكتابة

وسوف نستعرض فيما يلي بعض زخارف الفن القبطي والقرية من أسلوب رسوم الطفل ويتذوقها جمالياً ثم بعض رسوم الأطفال القرية من أسلوب الفن القبطي:

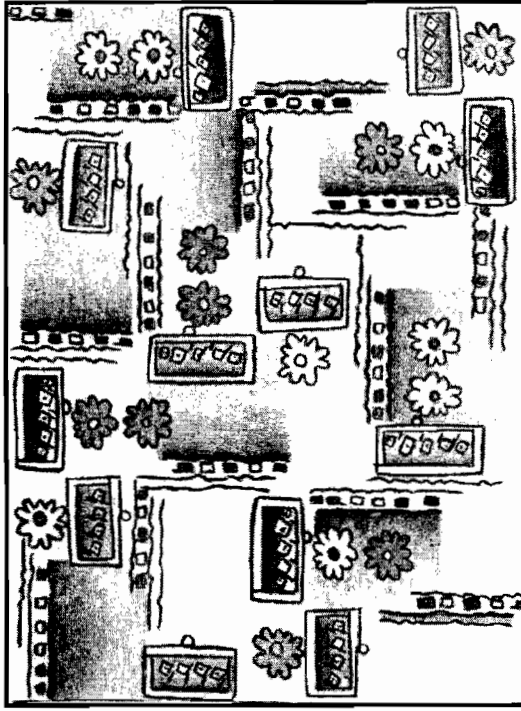
الفن القبطي	رسوم الأطفال
	
	
	
	
	
	

الأفكار التصميمية المبتكرة:

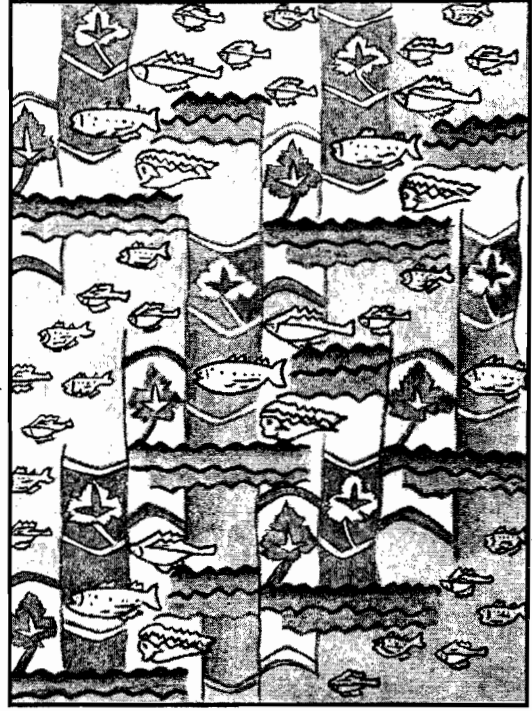
"أن علم التصميم نتاج معرفة اكتسابية يحصل الإنسان عليها بإمعان رؤية متعمقة فيما يقع عليه بالخبرة ثم تتجلى في التجربة التطبيقية كل الحلول والوسائل الممكنة سواء كانت محسوسة أو مدركة بالعقل، وقبل أن نبرهن على عملية اكتسابها بتطلب ذلك من اليقظة، لتعميق دور الإدارة في ذلك" (٦-٦٨). فتبدأ عملية التصميم بممارسة الحوار العقلي بين المصمم ومتطلبات التصميم، ثم يتجول الحوار إلى الورقة والقلم مع تبديل وتغيير الخطوط والأقواس، ثم ينتقل هذا الحوار إلى داخل الفنان لينفعل به وفي لحظة استبصار واندماج للعقل يتمكن الفنان من صياغة ما يريد باستخدام مفردات التصميم.

فالتصميم هو العلاقة بين النظرية والممارسة في أي من أشكالها. أو هو بصورة عامة ذلك المجال من الخبرة الإنسانية والمهارة والمعرفة والذي يهتم بقدرات الإنسان لإدراك الشكل والترتيب والقيمة والغرض والمعنى الموجود في الأشياء والنظم المحيطة به بهدف إعادة تشكيلها لتلائمه بطريقة أفضل أو هو في معنى آخر إيجاد الأمثل لبعض الوقت بما يتلائم مع احتياجات مجموعة من الظروف (٩-٧٩).

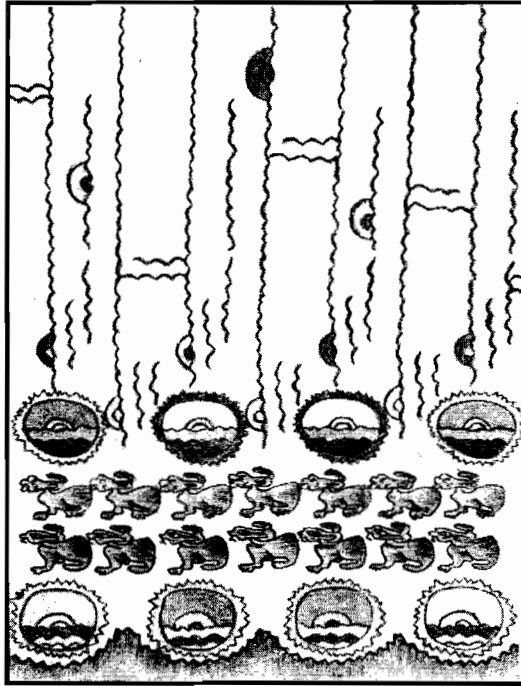
ولقد أمكن الاستفادة مما أنتجه الفنان القبطي من أعمال فنية تحمل سمات رسوم الأطفال، بما فيها من بساطة وقيم فنية وجمالية وذلك في إنتاج تصميمات أقمشة الأطفال المطبوعة، وتلك التصميمات تحمل السمات الأساسية لرسوم الأطفال وذات طابع مصري وتحقق الابتكار الفني والتصميمات المبتكرة ثمانية تصميمات مستمدة من زخارف الفن القبطي ورسوم الأطفال، وذلك للارتباط الوثيق بيه أسلوب بعض زخارف الفن القبطي الذي يتميز بالبساطة والتجريد وسمات رسوم الأطفال، ومن الوحدات الزخرفية التي استخدمت في التصميمات الأشكال آدمية وبعض الزخارف النباتية وأشكال الحيوانات والطيور والأسماك وكذلك الأشكال الهندسية البسيطة واستخدمت الألوان الفطرية المتنوعة التي تناولها الفنان القبطي في زخارفه وأيضاً الألوان الزاهية التي يفضلها الطفل في رسومه والتي تتناسب مع وظيفة المنتج.



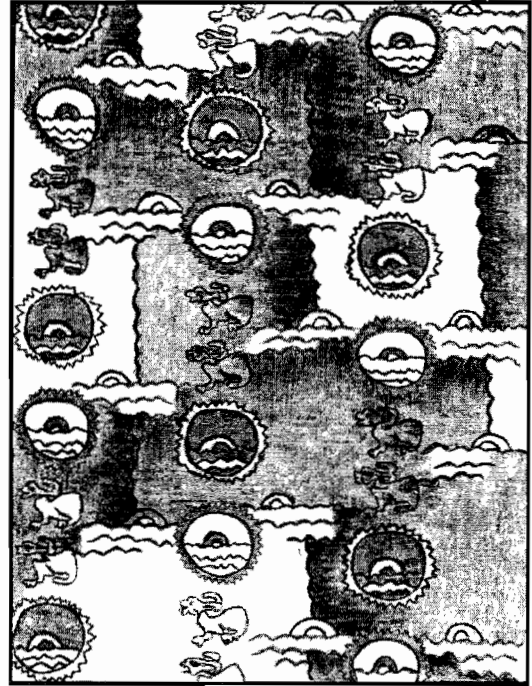
الفكرة التصميمية رقم (٢)



الفكرة التصميمية رقم (١)



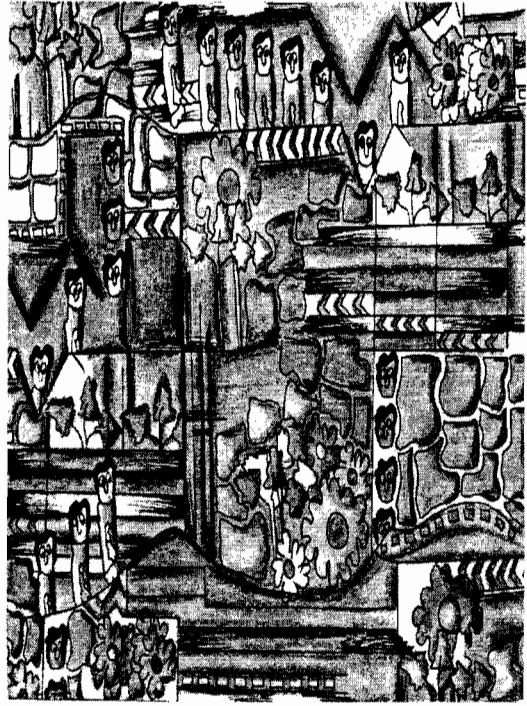
الفكرة التصميمية رقم (٤)



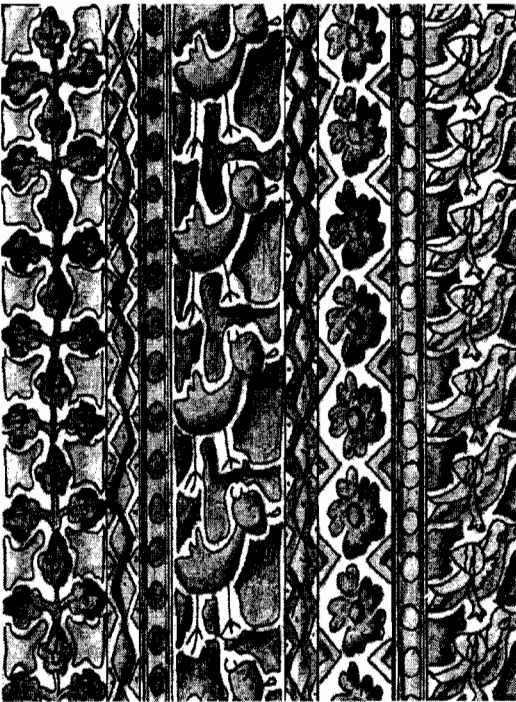
الفكرة التصميمية رقم (٣)



الفكرة التصميمية رقم (٦)



الفكرة التصميمية رقم (٥)



الفكرة التصميمية رقم (٨)



الفكرة التصميمية رقم (٧)

النتائج :

- ١- زخارف الفنون القبطية مصدراً لإثراء تصميمات أقمشة الأطفال المطبوعة لما فيها من قيم جمالية تحاكي بعض مميزات رسوم الطفل.
- ٢- تم تقديم ثمانية تصميمات مبتكرة تصلح لأقمشة مفروشات الأطفال المطبوعة.

التوصيات :

- ١- ضرورة الاهتمام بدراسة الفنون القبطية وزخارفها لما لها من أهمية فنية تاريخية يمكن الاستفادة منها في مجال تصميم طباعة المنسوجات.
- ٢- ضرورة إجراء المزيد من أبحاث تهتم باحتياجات الأطفال وتناسب مع ميولهم واهتماماتهم لتؤكد قوميتهم.

المراجع

- ١- أبو صالح الألفي: موجز في تاريخ الفن العام، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٥.
- ٢- ديانا وفتر: المنسوجات القبطية منذ اليونان حتى الفترة العربية، مجلة الفنون العربية العدد ٦ ١٩٨٢.
- ٣- سعاد ماهر: الفن القبطي، الجهاز المركزي للكتب، القاهرة، ١٩٧٧.
- ٤- عبد المطلب أمين القريطي: مدخل إلى سيكولوجية رسوم الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠١.
- ٥- عبلة حنفي عثمان: فنون أطفالنا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٩ م.
- ٦- عمر النجدي: أبجدية التصميم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.
- ٧- لبيب يعقوب صليب: الفن القبطي المصري في العصر اليوناني الروماني الجزء الأول - مطبعة قاصد خير، القاهرة، ١٩٦٤.
- ٨- محمد عبد العزيز مرزوق - الفن المصري الإسلامي - مكتبة الأنجلو - القاهرة ١٩٥٢.
- ٩- محمد عزت سعد: فلسفة تصميم المنتجات ذات الطبيعة الهندسية، القاهرة ١٩٩١.
- ١٠- محمود البسيوني: أصول التربية الفنية، عالم الكتب، ١٩٨٥ م.
- ١١- محمود البسيوني: سيكولوجية رسوم الأطفال، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م.
- ١٢- مراد كامل: حضارة مصر في العصر القبطي، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
- ١٣- نعمت إسماعيل علام: فنون الشرق الأوسط في الفترات الهلنستية، المسيحية الساسانية، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١.
- ١٤- Morey (Charles fufus) : Medieval art, New York, 1942